

الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

[112] رائدها ، وحافظها ، وحاملها في ذلك الطرف العصيب. وخير شاهد على ذلك هو تلك الفترة التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون في أول البعثة حيث كانوا يتحاشون فيها الصدام مع المشركين. وإن المحافظة على حامل الرسالة من خلال مرونة الرسالة، تكون ضرورة جدا حينما لا يكون للتضحية به فائدة، ولا عائدة. إن لم يكن في ذلك ضرر على الرسالة نفسها حينما تفقد جنديم أأمينا من جنودها، ربما تكون في وقت قاس بأمس الحاجة إليه. فكثيرا ما يكون الحفاظ على الاسلام من خلال الحفاظ على جنوده الابرار الوفاء، والذين يكونون دائما على استعداد للتضحية في سبيله كلما اقتضى الامر ذلك. فالتقية إنما شرعت للحفاظ على هؤلاء. أما الآخرون، الذين لا يفكرون إلا في أنفسهم، فلا ينفعهم تشريع التقية، ولا عدمه. ومما يدلنا على أن تشريع التقية إنما هو للحفاظ على الرسالة من خلال الحفاظ على جنودها، وليس ذلك نفاقا، ولا انهزاما. لان هؤلاء المخلصين الذين يراد الحفاظ عليهم هم دائما على استعداد للبدل والعطاء: أن الامام الحسين عليه السلام الساكت في زمان معاوية هو نفسه الحسين الثائر على يزيد، تحت شعار: إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذي (1) فسكوته هناك كان حفاظا على الدين والحق؟ تماما كما كانت ثورته هنا حفاظا على الحق والدين. وقد تكلمنا على هذه النقطة في حلف الفضول. ولجل ذلك نجد: أنه إذا توقف الحفاظ على الحق على الفداء والتضحية؟ فإن الاسلام يأمر به، ولا يتسامح مع من يمتنع عنه. وأيضاً، فلو كان في الاسلام جفاف وقسوة؟ فربما يبعث ذلك الفصل الاول: حتى الهجرة إلى الحبشة.
